مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الإمام عبد الرحمن بن رستم من اللجوء السياسي إلى بناء الدولة المستقلة

Imam Abd al-Rahman ben Rustam, from political asylum to building an independent State

صديقي نصيرة[1]، إبراهيم بكير بحاز[2]

1- جامعة غرداية، seddiiki.nassera@univ-ghardaia.dz

2- جامعة غرداية bahazhistoiry@yahoo.com

مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

تاريخ الاستلام: 2020/03/14 تاريخ القبول: 2021/02/16

ملخص -

شهد التاريخ الإسلامي قيام دول عظيمة، تأسست بفضل شخصيات أخذت على عاتقها مسؤولية تنظيم وترقية مجتمعات في إطار جغرافي معين، ضمن هيكل عام هو الدولة، وعبد الرحمن بن رستم واحد من هؤلاء، لذلك سيحاول هذا البحث التطرق إلى شخصية هذا القائد والإمام الجليل، الذي فضّل اللجوء بمذهبه بعيدا عن المناوئين له، واستطاع أن يشيّد صرح دولة حضارية، وأن يجمع شتات القبائل البربرية في المغرب الأوسط.

الكلمات الدالة -

الإمامة، عبدالرحمن بن رستم، اللجوء، الدولة، المغرب الاوسط

المؤلف المرسل: صديقي نصيرة: **seddiiki.nassera@univ-ghardaia.dz**

Abstract-

Islamic History Witnessed The Establishment Of Great States Founded Thanks To Personalities Who Took Upon Themselves The Responsibility To Organize And Promote Societies Within A Specific Geographic Framework, Within A General Structure That Is The State And Abdu Arahman Is One Of These, So This Research Will Attempt To Address The Personality Of This Leader And The Great Imam Who Preferred Taking Refuge In This Doctrine Away From His Opponents, And He Was Able To Construct The Adifice Of A Civilized State And To Ghather The Diaspora Of Berber Tribes In The Maghreb.

Key Words-

Imamate, Abd Al-Rahman Bin Rustom, Seek Refuge, Country, Central Maghreb

1. مقدمة

شكلت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، المتردية بداية القرن الثاني في المشرق الى بداية الثورات، وانتقالها الى المغرب بفضل الفارين من بطش الدولة العباسية، خاصة عندما وجدت قبائل تعرضت للظلم والاستغلال، من طرف بعض ولاة العباسيين.

بدأت الثورات، بثورة أبي الخطاب بن السمح المعافري، في طرابلس سنة 140ه/757م، رفقة عبد الرحمن بن رستم، والتي استطاعت أن تصمد ثلاث سنوات وتكسب تأييد القبائل البربرية، لكن بعد سقوطها أضطر عبد الرحمن الى الفرار نحو المغرب الأوسط، ولعل الإشكالية التي تتبادر الى أذهاننا هي الأسباب والكيفية التي انتقل بها عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى إقليم تاهرت، وتندرج ضمن هذه الاشكالية عدة تساؤلات هي :

من هو عبد الرحمن بن رستم وكيف نشأ؟ هل كان خروجه من القيروان فرارا كما قيل أم كان انسحابا مؤقتا؟ كيف كان الطريق الى تاهرت؟ ماهي القبائل التي لجأ إليها عبد الرحمن؟ كيف كانت عاصمة الدولة الرستمية؟ ماهي أهم معالم الدولة الاباضية التي أنشأها عبد الرحمن بن رستم؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على ثلاث محاور، أولها كان عن طفولة ونشأة عبد الرحمن بن رستم، وأيضا مشاركته في ثورة أبي الخطاب، وثانيها اللجوء الى المغرب الأوسط، وتضمن عرضا للطريق الذي سلكه عبد الرحمن في رحلته، وذكر لأهم القبائل التي احتضنت عبد الرحمن بن رستم، وآمنت بمذهبه أما ثالثها فكان عن المرحلة الأخيرة، وهي بناء الدولة المستقلة وذكر لأهم معالمها.

يكتسي هذا الموضوع أهمية خاصة، لأنه يلقي الضوء على رحلة عبد الرحمن نحو تاهرت وكل الصعوبات التي تحملها، في سبيل بناء دولة إباضية مستقلة قوية وحضارية.

2.الإمام عبد الرحمن بن رستم

1.2. المولد والنشأة:

تعتبر رواية أبي زكريا يحي بن أبي بكر، أقدم الروايات عن مولد وحياة عبد الرحمن بن رستم، لأنها جاءت في نهاية القرن الخامس، وبداية القرن السادس للهجرة، ونهاية الحادي عشر بداية الثاني عشر ميلادي، لذلك اعتمد عليها جلّ المؤرخين الذين جاؤوا من بعده.

اتفقت المصادر الإباضية وغيرها، حول الأصل الفارسي لعبد الرحمن بن رستم فهذا أبو زكريا يحي بن أبي بكر (الدرجيني، 1394ه/1974م، صفحة 484) يعرّفه بأنه "عبد الرحمان بن رستم، بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي" (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 54) وأورد في كتابه سير الأئمة وأخبارهم، فصلا سماه

(ذكر فضائل الفرس من العجم)، واستدل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم" لو أن العلم معلق بالثريا لناولته الفرس"
(البخاري، 1463ه/2002م، صفحة 1238).

ولد عبد الرحمن بن رستم في العراق، كان أبوه رستم عنده من العلم أن ذريته ستلي أرض المغرب (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 55)، فأقبل رستم متوجها من العراق ومعه ابنه عبد الرحمن وزوجه، ليتوصل الى هذه الأرض الموعودة أما الدرجيني فيذكر أن أبوه كان منجما، وكان يرى في علم مدخر عندهم (الدرجيني، 1394ه/1974م، صفحة 20)، فكانت هذه التنبؤات هي الإشارة الأولى لميلاد رجل عظيم، سوف تكون له صولات وجولات على أرض المغرب الاسلامي.

وقيل أيضا أن أباه رستم بن بهرام بن سام بن كسرى، قدم مكة حاجا بزوجته وابنه عبد الرحمن فمات، وتزوجت زوجته رجلا من القيروان فأقبل مع أمه (الشماخي، السير، 1407ه/1987م، صفحة 113).

أما ابن خلدون فيقول" وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية، وفد الى افريقية مع طوالع الفتح فكان بها وأخذ بدين الخارجية والاباضية منهم". (خلدون، 1421ه/2000م)(ص158 - 159)، فنظرية ابن خلدون هذه قد تكون بعيدة عن الحقيقة نظرا لعدة أسباب منها أن معركة القادسية كانت سنة ست عشر، وقال بعض أهل الكوفة أنها كانت سنة خمس عشرة وقيل أيضا أنها كانت سنة أربع عشرة للهجرة (الأثير، دس، صفحة 323)، على هذا يكون عبد الرحمن بن رستم قد عمر طويلا وهذه ما لم تثبتها المصادر التاريخية.

ومن ناحية أخرى فإن رستم القادسية، قد قضي عليه في تلك المعركة (كمال، 1409ه/1989م، صفحة 192)، وبين القادسية ونهاية فتح المغرب مدة تفوق السبعين عاما، وهو السن الذي يفترض أن يكون عليه عبد الرحمن بن رستم عند مجيئه الى المنطقة وهو مستبعد أيضا.

وتذكر مصادر أخرى أن عبد الرحمن بن رستم، كان مولى لعثمان بن عفان (عذارى، 1434ه/2013م، صفحة 207)، وهذا أيضا غير وارد لأن الموالي غالبا ما يتبعون ساداتهم، خاصة وهم يعاشرونهم داخل بيوتهم وخارجها، ويقلدونهم ويحفظون عنهم مسائل الدين والدنيا.

هاجر رستم والد عبد الرحمن، من العراق سواء كان حاجا أو قاصدا المغرب ولما وصل مكة أو ضواحيها مات، فالتقى عبد الرحمن و أمه مع الحجاج بمكة من أهل المغرب، فتزوجت الأم رجلا من القيروان، فحملها هي وابنها وعادوا الى القيروان (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 55).

أراد القدر أن يلتحق عبد الرحمن بن رستم، بأول مدينة أسست في ناحية الغرب الاسلامي، وأن يكون قيروانيا في ظل وضع سياسي مضطرب، تميز بكثرة الولاة الذين توافدوا على هذه المدينة خلال العصرين الأموي والعباسي.

حوت القيروان كل المذاهب الاسلامية، التي ظهرت في المشرق الاسلامي لأن الأجواء السياسية كانت ملائمة لذلك، والبعد عن مركز الخلافة منح نوعا من الاستقلالية والحرية، في اعتناق أي مذهب بل أنه كانت تعقد المناظرات بين مختلف المذاهب، فهذا المالكي يقول" عن أبي عثمان قال: سمعت أبي يقول مررت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في الاعتزال فوقفت أسمع مناظرتهم". (المالكي، 1403ه/1973م، صفحة 204)

سادت المغرب في تلك الآونة، حالة من الفوضى كان من نتائجها ظهور الثورات، خاصة بعدما قدم عبيد الله بن الحبحاب واليا على افريقية سنة(سنة 116ه/734م).

وكانت أسباب هذه الثورة، ما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات والأردية العسلية الألوان، فكانوا يتغالبون في جمعهم ذلك، حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح، لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها، ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه (خلدون، 1421ه/2000م، صفحة 157)، قد يضن البعض أن لا علاقة لهذه الثورة بابن رستم، لكن اذا نظرنا الى أسباب وظروف

وتوقيت هذا التمرد، نجده قد حصل في شباب الامام عبد الرحمن لذلك قد يكون من الأسباب التي دفعته ليسلك هذا الطريق.

تأثر عبد الرحمن بسلمة بن سعيد، أول من حمل الدعوة الإباضية الى المغرب مع عكرمة بن عبد الله، الذي جاء يدعو لمذهب الصفرية في أوائل القرن الثاني للهجرة، ويبدو أن نشاط سلمة وجد أرضا بكرا فنالت دعوته نجاحا ملحوظا (يحي، 1402ه/1982م، الصفحات 15 -16).

لم تتحدث المصادر عن طفولة وشباب عبد الرحمن بن رستم، وتركت فراغا كبيرا فمن اليوم الذي وصل فيه الى القيروان، لا نعلم كيف حدث انجذابه الى دعاة الاباضية، في مدينة تعج بالمذاهب والآراء ولا كيف استطاع سلمة بن سعيد أن يقنعه بالأمر، وهل كان لزوج أمه وعائلته الصغيرة دور؟ ما تؤكده المصادر الاباضية، هو ذلك الأثر الكبير، الذي تركه سلمة بن سعيد في نفس عبد الرحمن بن رستم حتى أن أبا زكريا، يروي عن الامام أفلح عن أبيه الامام عبد الوهاب عن أبيه الامام عبد الرحمن قال" أول من جاء بهذه الصفة يريد مذهب الاباضية ونحن بقيروان افريقية، سلمة بن سعيد قال وسمعت سلمة يوما يقول وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الاباضية بالمغرب، يوما واحدا من غدوة الى الليل فما أبالي بعد ذلك ان ضربت عنقي". (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 41)

2.2.عبد الرحمن بن رستم من حملة العلم الخمسة

ولما أصبح الإمام شابا، وظهر جليا انتماءه الى الاباضية، وقرأ وأفصح نظر إليه رجل من أهل الدعوة فقال له: يا فتى إن كنت طالبا ما أراك تطلبه، فاقصد الى أبي عبيدة مسلم بن أي كريمة التميمي رضي الله عنه، تجد عنده ما رجوت (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 54)، من هذا ندرك أن عبد الرحمن توفرت فيه شروط القيادة، وتميز عن أقرانه في القيروان بتفوقه في طلب العلم، فقرأ وأفصح.

عمل عبد الرحمن بالنصيحة، وقصد البصرة موطن الإباضية وعلماءها، وتوجه الى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي قال عنه الدرجيني، أنه كبير تلامذة جابر بن زيد، تعلم العلوم وعلمها ورتّب الأحاديث وأحكمها، حيث وضعه في

الطبقة الثالثة بين 100 -150ه (الدرجيني، 1394ه/1974م، صفحة 238). لكنه لم يكن وحده، اذ التقى بجماعة كانت لها نفس الأهداف تضم كل من عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داود القبلّي النفزاوي، وابو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ومعافر قبيلة من العرب (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 54).

وأصبح ابن رستم واحدا من خمسة هم ' حملة العلم ' ، والتقوا بأبي عبيدة فصافحهم وسألهم عن أحواهم ومن أين أقبلوا، فأخبروه أنهم من أهل المغرب فوافق على تلقينهم أصول المذهب، الإباضي ومكثوا عدة سنين عنده، في هذه الفترة يورد أبو زكريا يحي حادثة طريفة، وهي أن أبا عبيدة كان يضع ستارا بين عبد الرحمن بن رستم وطلاب العلم الآخرين، حتى لا يشغلهم بجماله (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 56)، فلما بلغوا من العلوم ما قدّر الله لهم وأرادوا الانصراف الى بلادهم، كلمت بعض العجائز أبا عبيدة وطلبن منه أن يريهن عبد الرحمن فأجابهن، ودعون له بالبركة

(الشماخي، السير، 1407ه/1987م، صفحة 113).

ودّع أبو عبيدة حملة العلم، وقال لهم" توجهوا الى بلادكم، فإن كان في أهل دعوتكم ما تجب به التولية في العدد والعدة من الرجال، فولوا على أنفسكم رجلا منكم فإن أبى فقتلوه فأشار الى أبي الخطاب". (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 67)، رغم أن أبا عبيدة أشار الى أبي الخطاب، في معرض حديثه عن تولية الإمام إلا أنهم عندما وصلوا عرضوا الإمامة، على عبد الرحمن بن رستم، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أنهم وجدوا فيه كل خصال الإمام وصفاته، لكنه اعتذر إليهم وقال لهم إن بيدي أمانة الناس وبضائعهم، وقبلوا عذره وتركوه (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 67).

3.2.عودته الى المغرب:

عاد ابن رستم إلى المغرب، وجّد في تحقيق أمنية شيخه سلمة بن سعد، الذي كان يقول "وددت أن يظهر هذا الأمر يوما واحدا فما أبالي أن تضرب عنقي"

(عبدالحميد، 1979، صفحة 290)، لكنه رأى كم استشرت الفوضى وعمّ الظلم، فقرر أن ينضم الى جموع الإباضيين، ويبايعوا أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري خارج مدينة طرابلس إماما، سنة(140ه/757) على أن يحكم بينهم بما أنزل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ودخل أبو الخطاب طرابلس، بلا حرب ودانت له البلاد طائعة مختارة لما شاع عنه من الرفق بالرعية، والعدل في الحكم بين الناس فعظم شأنه فيهم وامتد سلطانه شرقا الى برقة وغربا الى القيروان، وجنوبا الى فزان، وكان منصورا في جميع حروبه كالتي دارت رحاها لتطهير البلاد من قبيلة ورفجومة، التي أخذت القيروان من عامل الأمويين، وأسرف رجالها في البلاد بالظلم والقتل والسلب وانتهاك الحرمات والأعراض، ولم يسلم من فسادهم حتى المسجد الجامع فأدخلوا دوابهم فيه، فلبّى الامام أبي الخطاب نداء أهل القيروان، واستطاع أن يقضي على فسادهم، ويعيّن عبد الرحمن بن رستم واليا عليهم. (الباروني، 1416ه/1995م، الصفحات 31 -32)

وقد ذكرت المصادر، أن ولاية أبي الخطاب دامت أربع سنين (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 59)، ففي سنة(144ه/761م) كتب الخليفة أبو جعفر الى ابن الأشعث أن يسير الى المغرب، في أربعين ألفا فالتقى بأبي الخطاب ثم إن زناتة وهوارة تنازعتا فيما بينهما، واتهمت زناتة أبا الخطاب بميله لهوارة ففارقه جماعة منهم، فانهزم أبو الخطاب هو وأصحابه (عذارى، 1434ه/2013م، صفحة 105)، وذكر آخرون أن ابن الأشعث بعدما هزمه أبو الخطاب، تظاهر بأن الهزيمة كانت ساحقة، وأنه من العبث أن يعيد الكرة على أبي الخطاب، بينما جيوش هذا الأخير تفرقت لحصاد الزرع، عاد ابن الأشعث بجيوشه مغتنما فرصة تفرق أتباع أبي الخطاب (الباروني، 1416ه/1995م، صفحة 32).

استعمل المؤرخون مصطلحات مختلفة، ليعبروا عن انتقال عبد الرحمن بن رستم من القيروان الى المغرب الأوسط، فتنوعت هذه التعابير بين الهروب والفرار والانسحاب، فبعضهم قال أنه عندما قدم ابن الاشعث بالقوات العباسية باتجاه

طرابلس، لبى عبد الرحمن نداء أبي الخطاب، ولكنه عاد من قابس عندما سمع بهزيمة الجيوش الإباضية، قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط (عبدالحميد، 1979، صفحة 290)، وابن خلدون يقول" وفر عبد الرحمن بن رستم من القيروان الى تاهرت بالمغرب الاوسط". (خلدون، 1421ه/2000م، صفحة 147).

وقيل أنه لما سمع بانكسار أبي خطاب وموته، هرب من القيروان لم يصحبه إلا ابنه عبد الوهاب ومملوك له، ساروا في طريقهم يتناوب، الابن والعبد حمل ذات الشيخ ومتاعه الى أن وصلوا، الى جبل يسمى سوفجج (الباروني، 1416ه/1995م، صفحة 36)، أما ابن خلدون فيقول " فاحتمل أهله وولده ولحق بإباضية المغرب الأوسط". (خلدون، 1421ه/2000م، الصفحات 158 -159)

3. ابتداء اللجوء السياسي للإمام:

3. 1. الطريق نحو إقليم تاهرت:

لم تذكر بعض المصادر، تفاصيل رحلة عبد الرحمن بن رستم نحو إقليم تاهرت، ذكرت فقط أنه لما انتهى إليه قتل ابن الخطاب، ولى هاربا الى موضع تاهرت (عذارى، 1434ه/2013م، صفحة 105)، لكن مصادر أخرى فصلت في هذا الامر، فأوردت أن ابن رستم خرج ومعه ابنه عبد الوهاب وغلام له فمات الفرس في بعض الطريق، فدفنه خشية أن يدل عليهم وأدركه العياء، فصار ابنه وغلامه يحملانه بالتناوب، حتى بلغوا بالمغرب سوفجج جبل منيع، فلحق بهم ابن الاشعث فحاصره زمانا (الشماخي، السير، 1407ه/1987م، صفحة 120).

ويفصّل الدرجيني هذه المرحلة من رحلة عبد الرحمن بن رستم، فيسمي المنطقة التي مات فيها الفرس خارج قسطيلية، بموضع 'قبر الفرس'، ويفسر أسباب انسحاب ابن الاشعث، أنه عندما طال المكث تحت الجبل، وقع في جنده الجدري ومات منهم خلق كثير، فجمع ابن الاشعث أصحابه وقال لهم مستشيرا ' قد رأيتم هؤلاء القوم وما هم فيه من المنعة، وإقامتنا عليهم لا تجدي شيئا فما ترون

في الاقامة عليهم، أو الارتحال عنهم؟ فاختلف رأيهم، فقرر هو الارتحال فرجع الى القيروان (الدرجيني، 1394ه/1974م، صفحة 35).

إختار ابن رستم هذا المعسكر الحصين، الذي كان موضعه في جنوب شرق تاهرت في مكان واد سوفقيق، غير بعيد عن جبال وعرة الوصول وسهل خصيب، اسمه السرسو (prevost, 2009, p. 44)، هذا السهل الواسع يشكل جزءا من السهول العليا للجنوب الغربي الوهراني، تحده السهوب من الجنوب وجبال الونشريس من الشمال، وسهول قصر البخاري من الشرق والسهول العليا من الغرب (بختة، السنة الجامعية 2012 -2013، صفحة 6).

اعتبر بعض الباحثين، أنه من المحتمل ان يكون جبل سوفجج، هو جبل شط الفجاج في الجريد بإفريقية، احتمى به الإباضيون قبل التوجه الى تاهرت، ورأوا أنه من الصعب التصديق بأن محمد بن الاشعث، يكون قد بعث بجيش نحو هذه المنطقة البعيدة جدا، وحددوا شط الفجاج في غرب الجريد، وهذا غير صحيح لأن الجبل يقع شرق الجريد، ولا توجد فيه قمم وعرة، كما أن الدرجيني يذكر أن المكان الذي مات فيه الفرس هو خارج قسطيلية، وبهذا يؤكد الاتجاه نحو الغرب على طريق المغرب الأوسط (prevost، 2009، صفحة 51).

وبالفعل فإن سوفجج في اقليم تاهرت، هو جبل من جبال بين مدينة شلالة شرقا ومدينة سوقر غربا، وتبتدئ هذه السلسلة بجبل الناظور، في شرق مدينة السوقر وينبع من سفح هذا الجبل، وادي سوفجج وعين سوفجج
(دبوز، 2010، صفحة 239).

كما يوحي مصطلح "أجاج"، معنى آخر ذكره الدرجيني عن عيسى بن يرزكشن قال "مررنا بأبي صالح في الغيران، المعروفة ببني أجاج خارج ورجلان وكنا في جماعة من العزابة، فاستضافنا وبتنا عنده تلك الليلة" وقال أيضا "أن أبا صالح كان يأتي ليلا الى الغار، الذي هو مصلاه من غيران 'بني أجاج' (الدرجيني، 1394ه/1974م، صفحة 337)، وهذا يضع احتمالا آخر وهو مرور عبد الرحمن بن رستم بورجلان (prevost، 2009، صفحة 52)، وقد يكون سلك

طريقا يعرفه الإباضية، لأنهم سلكوه قبل ذلك للتجارة، وهومن قابس جنوب افريقية ليخترق الجريد، وسوف وجبال فيصل في تاهرت، وهو أقرب طريق (دبوز، 2010، صفحة 29).

2.3.القبائل التي لجأ اليها عبد الرحمن بن رستم:

بدأ لجوء عبد الرحمن بن رستم في المغرب الأوسط، من اليوم الذي غادرت فيه جيوش الخلافة متجهة الى المغرب الأدنى، وقبل هذا كان قد استقبل ستين شيخا إباضيا لحقه من طرابلس (النويري، 1424ه/2004م، صفحة 49) وبهذا كان لابد لهم من تنظيم دعاية واسعة النطاق، لنشر تعاليم المذهب الإباضي بين قبائل المنطقة لتأييد ابن رستم، وما ساعد على نجاح الدعوة أن المنطقة التي نزلها تعتبر امتدادا لبلاد الزاب، وأن كثيرا من قبائلها من لواتة وهوارة وزواغة ومطماطة ونفزاوة أصلها، من أقاليم الغرب الشرقية في طرابلس، كما أن بلاد الجريد تعتبر مهد الدعوة الاباضية (عبدالحميد، 1979، صفحة 291).

رأى ابن خلدون، أن ابن رستم نزل أول ما نزل عند قبيلة لماية، لقديم حلف بينه وبينهم (خلدون، 1421ه/2000م، الصفحات 158 -159)، وهم من بطون فاتن بن تمصيت بن زحيك بن مادغيس الأبتر، أخوة مضغرة ولهم بطون كثيرة منها بنو زكرمار ومزيزة ومليزة وبنومدين كلهم من لماية، وكانوا ظواعن غير مستقرين بإفريقية والمغرب، وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط موّطنين بسحومة مما يلي الصحراء، وكانوا بأرض السرسو، قبلة منداس وزواغة كانوا من ناحية الغرب منهم، وكانت مطماطة ومكناسة وزناتة، جميعا في ناحية الجوف والشرق (خلدون، 1421ه/2000م، صفحة 158).

كما كان لبطون مغراوة انتشار واسع، بضواحي قفار المغرب الأوسط وبنو يفرن الذين كان منهم بإفريقية، وجبل أوراس والمغرب الأوسط، بطونا وشعوبا لا سيما بنواحي تلمسان وبينهما وبين تاهرت، والى جانب البطون الزناتية كان هناك بالمغرب الأوسط قبائل مديونة، بنواحي تلمسان وقبائل معيفة عند مصب

نهر شلف من ضواحي مازونة، ومطماطة بتلول منداس عند جبل ونشريس وجبل كزول من نواحي تاهرت (عريب، 2016 -2017م، صفحة 42).

أما قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم، الذين كانوا ينتجعون من أوطانهم في موسم الربيع الى جهات تاهرت، واحوازها لما حولها من الكلاء، ثم يعودون بشياههم وبعيرهم الى مواطنهم، حيث من أهم هذه القبائل لماية، التي كانت تقصد منطقة السرسو قبلة منداس، وكانت زواعة من ناحية الغرب عنهم وكانت مطماطة ومكناسة وبطون من زناتة، الى جانب لواتة وهوارة (عريب، 2016 - 2017م، الصفحات 29 -30).

عندما وصل عبد الرحمن بن رستم الى جبل سوفجج، والظاهر أنه كان عامرا بالإباضية، أو كانوا قريبين منه وكان جبلا منيعا وصعب المرتقى (الباروني، 1416ه/1995م، صفحة 36)، اجتمعت لماية إليه وأحاطت به ونصرته، وبدأ يدعو لمذهبه كل القبائل المحيطة بلماية، فأجابته وانضمت له، لم يكن هذا الأمر هينا على ابن رستم، بل لزم لذلك الكثير من الصبر والأناة حتى مرت سنين، فقويت شوكته وعلى شأنه، حتى قيل "وكان أمراء المغرب في ذلك الوقت ورؤساؤهم: أبو قرة الصفري في أربعين ألفا وعبد الرحمن بن رستم الإباضي في خمسة عشر ألفا ..". (عذارى، 1434ه/2013م، صفحة 108).

وفي سنة 154ه/770م، بايعت الاباضية الامام أبا حاتم يعقوب، فشمر على ساعد الجد وبادر الى قمع المفسدين.. وملك طرابلس، ولبث فيها أشهرا ثم توجه الى القيروان فملكها بعد جهاد طويل، وأخرج منها ابن الأشعث واستعمل عليها عبد العزيز ابن السمح، ومنها سار الى الحدود الشرقية لمواجهة الجيوش العباسية (الباروني، 1416ه/1995م، صفحة 33)، في هذه المرحلة أيضا أثبت عبد الرحمن بن رستم أنه ينتمي الى اباضية طرابلس والقيروان، عندما لم يعلن عن إمامته وبايع الامام أبا حاتم الملزوزي إماما للدفاع.

دامت إمامة أبي حاتم سنة واحدة، استطاع فيها أن ينتزع ويجمع حوله كل قوى الإباضية، أما سنة 155ه/771م فهي السنة التي قتل فيها بمكان يدعى

(جنى)، وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم والي المغرب، في خلافة أبو جعفر المنصور، هذه المعارك التي أدت الى فناء ثلاثين ألفا من البربر، والتي كانت غالبا السبب في حركة الهجرة، من نفوسة ومن هوارة ومن قبائل أخرى نحو المغرب الأوسط فرارا من سلطة يزيد بن حاتم، وهكذا تجمع الإباضية حول عبد الرحمن بن رستم (موتيلانسكي، 1404ه/1985م، الصفحات 29 -30) وإضافة الى هذا كان أبو حاتم، يبعث بكل الصدقات التي يجمعها الى عبد الرحمن بن رستم، وهذا يظهر مكانة القائد ابن رستم عند إباضية الشرق (prevost، 2009، صفحة 54).

كما يرى بعض الباحثين، أن إمامة أبو حاتم الملزوزي كانت تكملة لما بدأه الإمام أبو الخطاب المعافري، لأنه جاء مباشرة بعده حينما بايعته جموع الإباضية، في المغرب الأدنى والأوسط وبوفاته سقطت الدولة الإباضية الشرقية نهائيا، أما القبائل الإباضية في القيروان، فبقيت مستقلة عن حكام العباسيين مثل نفوسة، هوارة وزواغة وقبائل أخرى (Lewicki, 1962, p. 514)، وهي القبائل نفسها التي أصبحت فيما بعد الأساس الذي بنى عليه عبد الرحمن بن رستم، الدولة الإباضية في تاهرت.

والأقرب الى الصحة، أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصيره ومصير أتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعدما فشلت محاولاته، في العودة من جديد الى إفريقية ففي سنة 151ه/768م اشترك مع بقية الخوارج، من اباضية وصفرية في حصار عمر بن حفص والي الخلافة العباسية، وهو في طبنة وانتهى الامر بفشل الحصار ورجوع عبد الرحمن الى تاهرت (عبدالحميد، 1979، صفحة 290).

فمشاركة ابن رستم في حصار طبنة، دليل على أنه يتحيّن الفرص للعودة الى القيروان، يقول عبد الرحمن ابن خلدون " ثم زحف البرابرة من الجانب الآخر على عمر بن حفص في طبنة في اثني عشر معسكرا وكان منهم أبو قرة في أربعين ألفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في ستة آلاف من الإباضية ". (خلدون، 1421ه/2000م، صفحة 148).

4.عبد الرحمن بن رستم وبناء الدولة المستقلة

1.4.تأسيس تاهرت المدينة:

كان الأمر الذي أخرج عبد الرحمن بن رستم من القيروان، هو كما تقدم نصرةً للمذهب الإباضي، وبحثا عن مكان آمن وبعيد عن الخلافة العباسية فالهدف الأصلي إذا هو ديني، ومن هذا الهدف يتبين سبب اختيار مكانها، وسط قبائل آمنت بالمذهب وفي رقعة جغرافية منيعة وخصبة في ذات الوقت.

أوردت الكثير من المصادر، أن ابن رستم بنى مدينته في سنة 144ه/761م، وهو أمر مستبعد لأن هذه السنة، جاء فيها الى المنطقة فارا مريضا محمولا على الأكتاف، لذلك لم يكن بمقدوره بناء المدينة وتنظيمها على النحو الذي كانت عليه تاهرت، فالظاهر أن المقصود بتاهرت ليست المدينة بل اقليمها. يؤكد العديد من المؤرخين وجود تاهرت القديمة، يقول أبوبكر الزهري "فالقديمة كانت تتحصن فيها قبيلة برفجانة وكانت عظيمة، وقيل إنها من بنيان العمالقة وقد وجد في زماننا، فيها أثرهم قبور فيها عظام بني آدم طول قصبة الساق ستة أشبار دون المفاصل، ووجد فيها رؤوس بني آدم وفيها بعض الأضراس، الضرس فيها أكثر من ثلاثة أشبار وطولها كذلك وفي وزنها ثلاثة أرطال وهذه المدينة خالية خربة". (الزهري، 1404ه/1983م، صفحة 113)

عندما أراد ابن رستم البناء في تاهرت القديمة، كانوا يبنون في النهار فإذا جنّ الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة (البكري، 1424ه/2003م، صفحة 249)، وقيل أن قبيلة برفجانة رفضت أن يشاركوهم فيها وهو ما دفعهم الى بناء مدينة حديثة (عريب، 2016 - 2017م، صفحة 11)، أما أبو زكريا فلا يذكر في كتابه أن هناك تاهرت الحديثة، بل أن جمهور المسلمين اتفق مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة يأخذونها من غلتها (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 81).

وذكر أيضا، أنها كانت قبل ذلك غياضا عامرة بالوحوش والهوام، فلما اتفقوا على عمارتها أمروا مناديا ينادي، الى من بها من الوحوش والسباع 'أن أخرجوا

فإنا أردنا عمارة هذه الارض' وأجلوا لها ثلاثة أيام، فقيل أنهم رأوا بها وحوشا تحمل أولادها في أفواهها، خارجة منها فكان ذلك مما زادهم بصيرة في عمارتها وانشائها، ثم أحرقت الأشجار التي كانت عليها (يحي، 1402ه/1982م، صفحة 81)

وبعد أن استقر رأي ابن رستم، ومن معه على بناء تاهرت، واختيار مكانها المربع الشكل الذي كانت تحيط به الغابات من كل النواحي، قال البربر نزل تاقدمت تفسيره الدف وشبهوه بالدف لتربيعه (البكري، 1424ه/2003م، صفحة 250).

وابتدأوا من تلك الساعة، فبنوا في ذلك الموضع مسجدا من أربع بلاطات وكان لهذا المسجد مصلى للجنائز، على نحو جامع الزيتونة وجامع القرويين بفاس (سالم، 1982، صفحة 456)، واختط الناس مساكنهم وذلك سنة 161ه/777م (عذارى، 1434ه/2013م، صفحة 196)، وكان موضع تاهرت ملكها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة، فأرادهم عبد الرحمن على البيع فأبوا، فوافقهم على أن يؤدوا إليهم الخراج من الأسواق، ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختطوا وبنوا (البكري، 1424ه/2003م، صفحة 250).

تسورت تاهرت بأربع أبواب، باب الصفا، باب المنازل، باب الأندلس، وباب المطاحن، وهي في سفح جبل يقال له جزول أو كزول، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش، ومنه شرب أهلها وأرضها وهو في شرقيها (أبو – الفداء، 1830، صفحة 164).

وأصبحت تاهرت مدينة جليلة تسمى عراق المغرب، ولها من أعمالها مرسى على البحر يقال له مرسى فروخ (أبو –الفداء، 1830، صفحة 164)، وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما، وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج (البكري، 1424ه/2003م، صفحة 487).

2.4.تكليفه بالإمامة:

تعتبر الإمامة عند الإباضية، فرض بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع فالدليل من الكتاب قوله "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[النساء آية59]، وهم الأئمة وقال تعالى "ويدرؤُا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين" [النور آية8]، وهو الإمام الذي يقيم الحد ومن السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان اذا افتتح بلدا أمّر عليها أميرا مرضيا، ويروى عنه صلى الله عليه وسلم (أطيعوا ولاة أموركم) (الكندي، 1437ه/2016م، صفحة 270).

اجتمع الاباضية في تاهرت، فقالوا قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا، فقلّبوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر، يدبر أمر القبيل ويستحق أمر الإمامة، فقال بعضهم لبعض كلكم رؤساء ولا نأمن أن يتقدم واحد على صاحبه، فتفسد نيته ولعل القادم يرفع أهل بيته وعشيرته، على غيرهم فتفسد النيات ويكثر الاختلاف ويقّل الائتلاف (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 25).

يشهد المؤرخون أن الامام ابن رستم، دفعته ظروف قاسية لمغادرة القيروان واللجوء الى المغرب الاوسط، فارا وهاربا ليس بنفسه ولكن بمذهبه الذي آمن به وقرر أن يدافع عنه ويجاهد في سبيله الى النهاية، لذلك لم يقطع صلته بالمغرب الادنى كما رأينا، ولم يقترح اسمه بين الأسماء المرشحة للإمامة.

وعندما اجتمع أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء، وقالوا قد علمتم ما حلّ بنا من الشتات والافتراق، بعد وفاة إمامنا ومبارحتنا طرابلس، وقد أجمعنا على انتخاب مكان غيرها يليق بمنصب الإمامة، ويكون ملجأ للإسلام وإذ رزقنا ولله الحمد بهذا المكان، وتم تحصينه على حسب المراد وجب نصب إمام (سليمان، 2005، صفحة 135).

لم يُبَايَعْ عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، إلا بعد بناء المسجد الجامع بتاهرت وكان ذلك سنة 160أو162ه/776أو778م، واشترط شروطا على المبايعين كما أن هؤلاء اشترطوا شروطهم، فكانت الموافقة مرتبطة بشروط من كلا الطرفين، وألقوا إليه بأيديهم يبايعونه، قال ابن الصغير" وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الامام في ابتدائنا، ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا قد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا إمام، نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا فقال لهم، أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إلي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه، قبلت ذلك منكم، فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم، وقدّموه على أنفسهم وألقوا إليه بأيديهم (إبن - الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 28).

فكان المسجد على أكبر تقدير هو مقر البيعة الاولى، وسيظل كذلك الى نهاية الدولة تقليدا متبعا (بحاز، 1440ه/2019م، صفحة 111)، وبعد تكليفه إماما وقائدا للإباضية في تاهرت، حصل على دعم مالي من المجتمع الإباضي في البصرة، بسبب ما تناقله الناس، من أخبار هذا الزعيم الإباضي الذي تمتع بالأمانة والعدالة والتواضع، فشجع هذا كل مسافر وسائح وتاجر جاء الى تاهرت على البقاء والإقامة فيها (Rofiq, 2018, p. 378)، وايضا لما تحلى به الإمام من الصلاح والزهد، وما تمتع به من المعرفة والعلم إذ له بعض المؤلفات منها تفسير القرآن الكريم وديوان خطب، ورسائل في الإخوانيات (الدراجي، 2007، صفحة 90).

ويفصل ابن الصغير، في سيرة الامام عبد الرحمن بن رستم، بعد توليه منصب الإمامة وكيف شمّر مئزره، وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، لا يخاف في الله لومة لائم، حتى قال بعضهم في المشرق لبعض، قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلا وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 28)، ونتيجة لذلك جاءت الإعانة الاولى من البصرة، حملها أناس من الثقاة الذين لم يأتوا لتسليم المال وفقط، بل ليتأكدوا من المعلومات التي وصلتهم عن

الإمام، فوجدوه مشغولا، بإصلاح بيته المتواضع من الطين بنفسه حتى أنهم لم يعرفوه، من ملبسه الذي يشبه لباس العامة من رعيته (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 29).

وأضاف ابن الصغير، أنهم عندما دخلوا بيته لم يجدوا سوى حصير فوقه جلد ليس فيه شيء، سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه، وفرس مربوط في ناحية من داره، فدعاهم ليتقدموا ويشاركوه الأكل، الذي كان عبارة عن قرص سخنت وهو قرص الدقيق الأبيض الخالص (عبدالعاطي، أحمد حامد حسين، و جمال مراد حلمي، 1424ه/2003م، صفحة 421) مع السمن، وفي الأخير يسمع لهما ولا يقرر شيئا، حتى يشاور الناس في الأمر (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 30) ولما وصل المال، اشترى به لرعيته السلاح والدواب وأنفقه في العمارة وغرس البساتين، واجراء الأنهار واتخاذ الرحاء وإحياء الموات من الأراضي (إبن - الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 31).

أصبح الإمام عبد الرحمن محط أنظار الاباضية في المشرق، وعقدوا عليه آمالهم في بناء دولة اباضية مستقلة، ففي العام الثالث من رجوع الرسل الى البصرة اجتمعت الاباضية بالمشرق، وراسلوا من لم يمكنه الاجتماع بهم وقالوا، إن أخبار التقدم في الاستقامة عن هذا الامام، لا زالت شائعة ومحاسنه مستفيضة وعدالته ذائعة، فهو جدير بأن يكون في المغرب فلا تدخروا عنه مالا، ولا تحبسوا عنه عطاءا أعينوه بكل ما قدرتم عليه، اذ بالمال تشد أركان الدولة ويوطد عماد الدين وبه تعلو كلمة الاسلام وأهله (سليمان، 2005، صفحة 143).

وجاء رسل البصرة يحملون عشرة أحمال من المال، الى الإمام ابن رستم للمرة الثانية، ولما وصلوا وجدوا الأمور قد تبدلت الى الأحسن، وسألوا العامة عن إمامهم وأحواله فقالوا، هو على ما عاينتموه عليه ما تغير وما تبدل، وعندما تُرِكَ له القرار، أقّر أن ترد الأموال الى أهلها، فيدفعونها لمن يستحقها من فقرائهم وضعفاهم (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 34).

3.4.معالم الدولة الاباضية المستقلة:

اختلفت الدولة الإباضية الناشئة عن باقي الدول المحيطة بها، من حيث نظمها وسيادتها وسعة رقعتها وإنجازاتها الحضارية، فقد كانت متينة الأسس ديمقراطية النظام والتسيير ، سيدة القرار والتنفيذ واسعة الأطراف والأقاليم ذات إنجازات حضارية وثقافية متميزة، يرأسها إمام يحكم الناس بمساعدة مجلس شورى أعضاؤه هم أهل الحل والعقد (الدراجي، 2007، صفحة 88).

كان مجلس شورى ابن رستم، يتألف من رؤساء القبائل التي لجأ إليها في بادئ الأمر وهي لماية ولواتة ومزاتة وزناتة، والتي لحقته فيما بعد وهي نفوسة وهوارة بالإضافة إلى علماء وفقهاء المذهب الإباضي، فكان لا يقطع أمرا إلا باستشارتهم.

أما فئات المجتمع الرستمي، فكان أغلبها من السكان الأصليين للمغرب البربر كما تواجد بتاهرت الكثير، من المشارقة العرب منهم والفرس، والأندلسيين والأوروبيين والأفارق، بالإضافة الى اليهود والنصارى، الذين كانوا يزاولون الأعمال الاقتصادية والعلمية والفنية، واستطاعت الروح السمحة التي تميز بها الإباضيون أن تكوّن نوعا من التضامن، بين أفراد هذا المجتمع (حموم، 1439ه/2018م، صفحة 38).

تمتعت رعية الامام عبد الرحمن، بالرخاء والأمان على النفس والمال، وذلك لحسن سيرته وعدله، حتى قيل "لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 32).

برعت الدولة الرستمية في الجانب العلمي، حيث كان من شروط تولي الإمامة الشرط الأساسي أن يكون الامام عالما، فعبد الرحمن كان من حملة العلم الخمسة بالبصرة، حيث استطاع بفضل سياسته وسلوكه، أن يكسب رضا الناس بجميع فئاتهم فلم يقم عليه أحد، ولم يقتصر دور الأئمة الرستميين على نشر العلم والتدريس، بل اشتركوا أيضا في حركة التأليف في مختلف فنون العلم فالشماخي يذكر أن للإمام عبد الرحمن بن رستم، تفسيرا لكتاب الله، أما ابن

الصغير فيرجح أن تكون له مؤلفات بالإضافة الى ديوان خطب نفيس، وذكر الورجلاني أنه رأى له رسائل متعددة، وجوابات كثيرة في فنون العلم (سمية، 2016، الصفحات 251 -253).

حمل ابن رستم راية العلم، حتى قال عنه أحد معاصريه :" لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب، كما كان سمحا غير متشدد في الدين، بارعا في علوم الدين واللغة والفلك، وكان محبا للعلم فأقبل على التأليف، على قلة ما كان يجده من الوقت (مطهري، السنة الجامعية 2009 -2010، صفحة 228).

اشتهر الإباضيون بالمناظرات، التي كانت تتطلب معرفة جيدة باللغة العربية والقرآن والحديث، حتى دعيت تاهرت بعراق المغرب، وشبهت بعواصم المشرق الاسلامي والاندلس، وكانت بها مكتبة المعصومة التي كانت تضم حوالي ثلاثة مئة ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون، حتى خربها وأحرقها العبيديون الفاطميون (حموم، 1439ه/2018م، صفحة 40).

لم تكن تاهرت العاصمة السياسية للرستميين وحسب، بل كانت أيضا عاصمتهم الثقافية والحضارية، فمن أكبر المؤسسات الثقافية والعلمية بها مسجدها الجامع، الذي كان بمثابة مدرسة الإباضية دون أن ننسى دور مكتبة المعصومة التي جسدت جهود أئمة الدولة الرستمية، في تحويل حضارة دولتهم الى إشعاع فكري، ينافس المراكز الثقافية الأخرى (مطهري، السنة الجامعية 2009 -2010، صفحة 231).

وأضحت تاهرت ذات إشعاع حضاري وفكري، وملتقى وفود طلاب العلم وأنجبت هذه الرقعة الجغرافية الرستمية، عددا من العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء تركوا بصماتهم على كل جوانب الفكر، الفقهي والفلسفي والجدل وعلم الكلام وفي النظريات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية (حموم، 1439ه/2018م، الصفحات 39 -40)

كما كان لعبد الرحمن بن رستم، حلقات يعقدها في مسجد تاهرت، حيث يعود الفضل إليه، في نقل تنظيمات مدرسة البصرة الى المغرب، وقد ضمت الحلقات مختلف الفرق والمذاهب، حتى عرفت الحياة العلمية بتاهرت بالمناظرات الفقهية الكلامية، بالإضافة الى هذا أوجد ابن رستم الكتاتيب، وهو المكان الذي يحفظ فيه الصبيان القرآن الكريم، ولم يبقى يقتصر على هذا الدور بل تعداه الى تدريس الفقه والحديث والنحو وغيرها (رزاق، 2015، الصفحات 38 -41).

اتبع أولاد عبد الرحمن بن رستم منهجه وسيرته، فكان عبد الوهاب عالما أيضا وألّف كتابا يحوي قضايا دينية عنوانه مسائل نفوسة، كما كان يقضي ليله في دراسة علم الفرائض، ويذكر المؤرخون أن ابنه أفلح تفوق عليه من الناحية العلمية وبلغ درجة عالية من معرفة الرياضيات وعلم الفلك، أما أبو اليقظان الإمام الخامس فقد اشتهر هو الآخر بعلمه، حتى ألف كتبا ليَرُدَ على المخالفين (حموم، 1439ه/2018م، صفحة 40).

أما عن الحياة الاقتصادية، فكانت الإعانات الخارجية أول الموارد التي ساعدت الامام عبد الرحمن بن رستم وأعيان الإباضية، على إنشاء مشاريع من أجل التنمية والتطوير، فقد قسمت هذه الأموال الى ثلاثة أقسام ثلث للخيل وثلث للسلاح ثلث لفقراء الناس وضعفاهم، أما ما بقي من المال فاستصلحت به الأراضي البور، وغرست البساتين وأجريت الأنهار (وهراني، 1431ه/2010م، صفحة 169).

شكلت التجارة العصب الحيوي للدولة الرستمية، بحكم موقع تاهرت الذي توسط المغربين الأدنى والأقصى، وبحكم سياسة حسن الجوار التي انتهجها الإمام مع بلاد السودان الغربي والأندلس وسجلماسة، فاستعملت السبل الى بلاد السودان والى جميع البلدان، من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة (إبن الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 32)، فكانت سفن الأندلس تصل الى موانئها في تنس ومستغانم ووهران، مشحونة بالبضائع الأندلسية، فتفرغها وتحمل منتجات الرستميين، من المنسوجات الصوفية والعاج والجلود، كما كانت القوافل

التجارية تصل إليها، من فاس والقيروان وسجلماسة وبلاد كوكو في شمال السودان الغربي، محملة بالذهب الخام والعاج، وريش النعام وجلود الحيوانات لترجع محملة، بالمنسوجات الصوفية والكتانية، والحرير والقوارير الزجاجية والأواني الخزفية، البراقة والملونة والتحف المعدنية والعطور (حموم، 1439ه/2018م، صفحة 39).

وساعد أيضا هذه الدولة الناشئة، مورد مهم هو الصدقات، يقول ابن الصغير "وأصحاب شرطته والطائفون به، قائمون بما يجب وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال كل ... من أهل الشاة والبعير ويقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يَظلمون ولا يُظلمون". (إبن - الصغير، 1405ه/1985م، صفحة 35).

كما ازدهرت الزراعة لدى الرستميين، نتيجة امتلاكهم مجالات ضخمة من الأراضي الزراعية، وكذلك وفرة المياه لكثرة الوديان، المحيطة بالعاصمة تاهرت لذلك اشتهرت المنطقة، بإنتاج الحبوب والفواكه بمختلف أنواعها خاصة السفرجل، بالإضافة الى جودة تمورها، المزروعة في واحاتها الخصبة وسط الصحراء في ورجلان، واشتهرت أيضا بتربية المواشي نظرا لوجود نطاقات رعوية واسعة (حموم، 1439ه/2018م، صفحة 38).

انعكس هذا النمو الاقتصادي، على المجتمع التاهرتي بالإيجاب، وابن الصغير يؤكد على ذلك في كتابه، عندما يروي أنه بعد سنتين من تولي عبد الرحمن بن رستم الإمامة، زادت العمارة والناس والتجار من كل الأقطار، وعندما رجع رسل البصرة في المرة الثانية، وجدوا قصورا قد بنيت و بساتين قد غرست و أرحاء قد نصبت، والى خيول قد ركبت والعبيد والخدام قد كثرت، وبيت عبد الرحمن الذي كان بيتا متواضعا من طين، أصبح قصرا (إبن -الصغير، 1405ه/1985م، الصفحات 32 -33).

اتسمت علاقات عبد الرحمن بن رستم، بالدول المحيطة به بالتباين، فكانت مع العباسيين عدائية، نتيجة لنظرة بني العباس الى الرستميين، باعتبارهم خرجوا

عن الخلافة واقتطعوا، جزء من أراضي كانت تابعة لهم في المغرب، أما الأغالبة فكانت العلاقات معهم حسب الظروف السياسية، لكنها في الأغلب تميزت بالتعايش السلمي، في أغلب الأحيان (يحياوي و محمد -عبيس حميد، 2013، صفحة 171).

وجدت دولة الأدارسة الجار الغربي في الدولة الرستمية، الحاجز والحارس الأمين على حدودها الشرقية، لذلك لم تحاول أن تثير المشاكل معها، أما مع بني مدرار فكانت العلاقات معها ودية وقوية، حتى أن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم الذي حكم سجلماسة سنة 208ه/723م، تزوج من أروى بنت عبد الرحمن، وعلى نفس الطريقة كانت علاقات الدولة الرستمية، مع الدولة الأموية في الأندلس، حيث شهدت تعاونا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وحضاريا، فاستقبلت تاهرت شخصيات أندلسية استوطنت تاهرت، ولعبت دورا في تمشية الأمور الادارية فيها، من بينها عمران بن مروان الاندلسي ومسعود الأندلسيين، وقد رشحا لتولي الإمامة بعد عبد الرحمن بن رستم (يحياوي و محمد -عبيس حميد، 2013، الصفحات 173 -178).

5.الخاتمة

توصلنا في نهاية البحث، لنتائج مهمة نوردها بشكل نقاط:

- انتشار وقوة المذهب الإباضي في تلك المرحلة من التاريخ الاسلامي في المغرب.
- دولة عبد الرحم بن رستم في تاهرت هي استمرار لدولة أبو الخطاب بن السمح المعافري في طرابلس.
- الظروف التي نشأ فيها عبد الرحمن بن رستم، والتي أكسبته صفات الامام العادل والقائد المحنك
- الدور البارز الذي لعبه ابن رستم في حكومة أبي الخطاب.
- شكلت ميزة النسب الفارسي ورحلته لطلب العلم التي قادته الى البصرة، أهم دافعين لاختياره إماما على الاباضية.

- **لجوء عبد الرحمن وهروبه بالمذهب، نحو رقعة جغرافية لا يعرفها طلبا للأمن والاستقرار.**
- **القبائل التي آوت بن رستم وكفلت له الحماية، وساعدته لبلوغ هدفه الذي جاء من أجله.**
- **بناء عبد الرحمن دولة عمّرت قرنا ونصفا تقريبا، دولة قوية وحضارية.**

7.المراجع بالعربية:

إبن-الصغير. (1405ه/1985.م)، أخبار الأئمة الرستميين، تح.ا .بحاز،محمد ناصر، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

أبو-الفداء.(1830) ، تقويم البلدان، تح.ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس.

الأثير. (دس)، الكامل في التاريخ ، تح، أ ص .الكرمي، عمان، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

الباروني. (1416ه/1995م)، مختصر تاريخ الاباضية، ط5، مسقط، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.

البخاري. (1463ه/2002/)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق.

البكري. (1424ه/2003م)، المسالك والممالك، ج.2، ط1، تح.ج .طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت.

التميمي. (2012)، طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الجوهري. (1399 ه/1997م)، الصحاح،ج.1، ط2، تح.ا .ع .عطار، دار العلم للملايين، بيروت.

الدراجي،ب .(2007) .دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر.

الدرجيني. (1394ه/1974م)، طبقات المشايخ ،ج2، تح.طلاي ، مطبعة البعث، الجزائر.

الزبيدي، م. (1424ه/2000م)، تاج العروس من جواهر القاموس. ج.31، ط. 1، تح.ع .ا . الطحاوي، التراث العربي، الكويت.

الزهري. (1404ه/1983م)، كتاب الجغرافية، تح. م .ح .صادق، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

الشماخي. (1407ه/1987م)، السير،ج.1، تح. أ .ب .السيابي، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

الشماخي ، داوود التلاتي. (1436ه/2016م)، مقدمة التوحيد وشروحها ، تح.ا .أطفيش، تر. أ .ع .جميع، دار الحكمة، لندن.

الصاوي،ب. (2008م)، الوجيز في فقه الخلافة، دار الاعلام الدول، القاهرة.

الصباغ،ل. (2011) ، القيروان ملتقى الأندلسيين، مجلة التربية والعلم، الموصل، المجلد.18، ع.4، ص167.

العمري،ا . (2010م)، مسالكالأبصار في ممالك الأمصار ، ج4، ط1، تح. ك .س .الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكند. (1437 ه/2016م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10، ط1، تح. م .ب .باجو، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، مسقط.

المالكي. (1403ه/1973م)، رياض النفوس،ج1، ط1، تح. ب .البكوش، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

المدني،ت . (1947)، جغرافية القطر الجزائري، د.دن، الجزائر.

النويري،أ. (1424ه/2004م)، نهاية الأرب في فنون الادب (éd. 1, Vol. 27 .)، ج27، ط1، تح.ع .ا .ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

بحاز، إ. (1440ه/2019)، الدولة الرستمية، دراسة في المجتمع والنظم، ط1، مؤسسة كتابك، الجزائر.

بختة، و . السنة الجامعية(20132012-م)، الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت من 18901840/م. رسالة مقدمة انيل شهادة الماجستير، إشراف.غ .الشمري، وهران، كلية العلوم والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر.

بديرة ،ع .السنة الجامعية (20182017-م)، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط دراسة للواقع الاقتصادي الاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ وسيط، إشراف. م .خلفات، المسيلة، جامعة محمد بوضياف، جامعة محمد بوضياف، الجزائر.

حموم، خ. (1439ه/8201)، تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي والاندلس، مطبوعة بيداغوجية مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ، سطيف، جامعة محمد لمين دباغين.

حياوي،ف200) .با7 .(جوانب من الحياة التجارية في القيروان خلال العصر العباسي الأول كلية التربية الأساسية، بابل.

خلدون،ع . (1421ه/0200م) العبر وتاريخ المبتدأ والخبر ، ج6، تح. خ .شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

دبوز، م. (2010) . .تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس.

رزاق،م .(2015) .التعليم عند الاباضية ببلاد المغرب، مجلة العلوم الاسلامية، الجزائر، المجلد.10، ع1.

زيتون،م. (1404ه/1988م)، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة.

سالم،ع .(1982) ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط1، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية.

سكينة،ع . (السنة الجامعية 2014/2013)، ريف المغرب الاوسط في القرنين 65-ه/1211-م، دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف. إبراهيم بحاز، جامعة قسنطينة2، الجزائر.

سليمان، ا. (2005)، الأزهار الرياضية في أئمة الإباضية، ط1، تح، م.ع.الصليبي، دار الحكمة، لندن.

سمية، ق .(2016) .دور العلماء الرستميين في تنشيط الحركة العلمية بالمغرب والاندلس، إشراف ب .خالد، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، المجلد.2، ع4، الصفحات.253-251

عبدالحميد، س. (1979) . تاريخ المغرب العربي، ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

عبدالعاطي،ش، أحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي. (1424ه/2003م)، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

عذارى، إ. (1434ه/2013م)، البيان المغرب، ج1، تح.ب .ع .معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الاسلام، تونس.

عريب،م . (2015 -2016م)، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع هجري الى سقوط الدولة الموحدية من القرن 11الى13 ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، الجزائر.

كمال،أ. (19891409/م)، القادسية، ط9، دار النفائس، لبنان.

مطهري، ف) . (السنة الجامعية 2009 -2010م)، مدينة تيهرت الرستمية، دراسة تاريخية حضارية مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف. م. بلحاج، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر.

موتيلانسكي. (1404ه/1985م)، تاريخ"ابن الصغير "عن أئمة تاهرت الرستميين، تح. بحاز، محمد ناصر، ترجمة. م .ناصر، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

وهراني، ق. (1431ه/2010م)، جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينة تاهرت من خلال كتاب ابن الصغير، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، الجزائر، المجلد. 20، ع5،

يحي، أ، ز. (1402ه1982م)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، ط2، تح. إ. لعربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

يحياوي، ف، س، محمد-عبيس حمي .(2013) الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الاساسية، العراق.

المراجع بالأجنبية:

Ahmed Choirul Rofiq, (2018), A Historical Analysis on the Maderatepolicy of the Rustamid dynasty, Arist, france, Vol.6, N°2, pp.374-390.
Tadeusz Lewicki, (1962), L'état nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle, cahiers d'études africaines, France, Vol.2, N°8, pp.513-535.
Virginie Prévost, (2009), Abd al-rahman ibn-rustum al-farisi, une tentative de Biographie du premier imam de Tahert, Der Islam, Berlin, Vol.86, N°1, pp.44-62.